ممارسته(α) حرفة الرعي وهو في البادية:

نلحظ أنّ مبدأ نشأة النبيّ (α) كان في رعيِه للغنم في بادية بني سعد، ولا ريب أنّ رعي الغنم سنّة الأنبياء، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ (α) قَالَ :" مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ "، قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري:" قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوّة:أن يحصل لهم التمرّن برعيها على ما يكلّفونه من القيام بأمر أمّتهم. ولأنّ في مخالطتها ما يُحصِّلُ لهم الحلمَ والشّفقةَ، لأنّهم إذا صبروا على رعيِها، وجمعِها بعد تفرّقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوّها من سبُع وغيره كالسّارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدّة تفرّقها، مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصّبر على الأمّة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التّعاهد لها، فيكون تحمّلهم لمشقّة ذلك أسهلَ ممّا لو كُلِّفوا القيام بذلك من أوّل وهلة، لما يحصل لهم من التّدريج على ذلك برعي الغنم. وخُصّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأنّ تفرّقها أكثر من تفرّق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالرّبط دونها في العادة المألوفة"وهناك حكمة أخرى لم يذكرها ، وهي أنّ الرّحمة والسّكينة في أهل الغنم.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (α) قَالَ :"الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ" [1]. ولكن حدث أمر عظيم هو أيضا من دلائل نبوّته (α)، قضى محمد (α) في حضانة ورعاية (حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية) وزوجها (الحارث بن عبد العزى (أربع أو خمس سنوات ثم حدث ما جعلها تعجل بإرجاعه إلى أمه في مكة إذا أخبرها ابنها الصغير أن رجلين أخذا محمدا فشقا صدره واستخرجا قلبه وأخذا منه علقه سوداء ثم غسلا القلب وإعاداه إلى ما كان عليه , وقد اختلف المؤرخين في حقيقة شق الصدر هل هو حسي أم معنوي ؟ ولكن لعله يشير إلى الحصانات التي أضفاها الله على محمد (α) فحصنته ضد مساوئ الطبيعة الإنسانية ومفاتن الحياة الأرضية

[1] - الفدّادون: هم أهل البقر التي تستعمل للحرث، وقيل: رعاة البقر الّذين لهم فديد وهو الصّراخ.